الفصل الثاني:

بـدايـات الـكـفـاح

obeikan.com

الفصل الثاني: بدايات الكفاح

العمل المهني:

حين يكون الرجال كباراً في نفوسهم، كباراً في عزائمهم، فلا بدَّ أن يترفعوا عن سؤال الآخرين مهما كانت صلتهم بهم، ومهما بلغت بهم الحاجة، ولم يكن محمد السبيعي إلا مثالاً فريداً لهذا النمط المكافح والكبير من الرجال، في عام ١٣٤٦هـ عمل السبيعي ابن الثلاثة عشر عاماً «سقَّاءً» لدى عمه يجلب الماء للبيت والديوان(١)، مقابل أجر زهيد كي يساعد في التخفيف من الأعباء الملقاة على عاتق أسرته المحتاجة، بالإضافة إلى عمله في الدكان مقابل ثمانية جنيهات(٢) لمدة عشرة أشهر، حيث كان يعمل من ١٢ - ١٦ ساعة يومياً.

يقول - رعاه الله - متحدثاً عن تلك التجربة:

«كان أهل مكة يشربون من عين زبيدة(٣)، وكانت مهنة السقاية مهنة منظَّمة، حيث كان كل بازان «وهو المكان الذي يجلب منه الماء» له شيخ ينظِّم السقاية، فإذا تعدى السقَّاء، ولم يلتزم بدوره في السقاية، فإنه يوقف ويجلد في المرة الأولى عشرين جلدة، وتضاعف العقوبة كلما كرَّر الخطأ. وكانوا يستعملون القِرب والزفة لنقل الماء على ظهورهم».

وبعد عدة شهور ترك محمد السبيعي العمل لدى عمه وبدأ بالبحث عن

---

(١) هو مكان يجتمع فيه صاحب البيت مع أصدقائه.

(٢) الجنيه حينها يساوي عشرة ريالات مجيديات.

(٣) هي عين أجرتها أم جعفر زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور زوج هارون الرشيد، وهي تنبع من وادي نعمان، حيث تقطع وادي عرفة ثم تنحدر إلى مكة المكرمة، وكانت سقيا أهل مكة إلى أن أجريت عيون أخرى في العهد السعودي الحديث.

obeikandl.com

تعلَّم الشيخ محمد من مهنة السقاية أهمية المحافظة على المصادر المائية، وفي الصورة نراه في زياره لإحدى الآبار في مدينة الرس ومعه من اليمين عبدالعزيز العبدالله السبيعي ومحمد الخشيبان.

عمل أكثر ربحية؛ ليسهم به في مساعدة أسرته، وليعوِّض به حرمانة ترك الدراسة، فذهب للعمل في الجيش ولم يقبل لصغر سنه، فتوجه إلى العمل في البناء مقابل تسعة قروش في اليوم، واستمر على هذا الحال يكابد ويعمل بجهد يفوق مرحلته العمرية بمراحل إلى أن توسط له أحد معارفه وهو إبراهيم الفريح -رحمه الله- للعمل في قصر الملك عبدالعزيز على وظيفة مشرف عمال بمرتب ريال مجيدي واحد في اليوم، وهو يساوي اثنين وعشرين قرشاً.

وانخرط السبيعي في العمل وهو يتطلع إلى الأفضل، ويذكر أنه قد عمل طباخاً لمدة سنة وعشرة أشهر عند عمه ناصر السبيعي، ومن المواقف التي لا ينساها في ذلك الوقت أنه كان ذاهباً لإحضار الفطور ذات يوم وإذا بسيارة مكشوفة (فورد) وفيها عدة رجال من بينهم عبدالله بن خصيب أحد مرافقي

الأمير فيصل، وكان الأمير فيصل بن عبدالعزيز هو أمير الحجاز في ذلك الوقت. كانوا يطلقون النار في الهواء ويجوبون الشوارع تعبيراً عن الفرح وإعلاناً لانتصار الملك عبدالعزيز في معركة السبلة.

ومن ذاكرته حول ظروف عمله في تلك الفترة يقول: «فكرت في تعلُّم قيادة السيارة والخياطة مثل إخوة لنا في الجودرية من عائلة الشريف كانوا يعملون في خياطة الثياب ولم أستطع، إذ كان ثمن ماكينة الخياطة مئة وستين ريالاً، ولم أكن أملك هذا المبلغ.

على الرغم من دخول السيارات للمملكة أوائل القرن الهجري الماضي إلا أن الجمال حافظت على دورها كوسيلة مهمة للتنقلات الطويلة.

ومن المهن التي اشتغل بها أنه عمل دلالاً «بائعاً متجولاً» يأخذ السجادة ويحملها على رأسه ويطوف بها في الشوارع من الصباح الباكر وحتى المساء يبيعها أحياناً ويحصل على بعض الدراهم، ويعيدها أحايين أخرى من حيث أخذها فلا يحصل على شيء بالرغم من سعيه وجهده.

وتتجلَّى لنا في هذه المهن - التي عمل بها - روح الحماس وعنفوان الشباب واندفاعه في سبيل البقاء، وهو في كل ذلك يردد حكمته : أن لا عسير إذا طلبت من الله التيسير في شتى الأمور، ومستشهداً بقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ ﴾ (١).

(١) سورة الطلاق: (٢ - ٣)

العمل الوظيفي:

في عام ١٣٤٩هـ أعلنت إمارة مكة المكرمة بواسطة وزير المالية الشيخ عبدالله بن سليمان -رحمه الله- عن وظيفة بمسمى «مفتش طريق» لتفتيش الجمارك في المسيجيد، فعمد ابن مسند للبحث عن سبعة أشخاص للعمل، وكان السبيعي واحداً ممن وقع الاختيار عليهم، فذهبوا إلى المسيجيد، وكان الراتب ثلاثين ريالاً في الشهر، بالإضافة إلى تأمين المأكل والمشرب والسكن، وهذا عرض مغرٍ، وشعر السبيعي أنه بهذه الوظيفة يستطيع أن يعتني بأمه وأخيه الأصغر عن قرب، وأنه بات اليوم قادراً على إعالتهما وخصوصاً أن الوظيفة الجديدة قد هيأت له السكن الجيد والراتب المجزي؛ لذا فلقد قرر أن يأتي بأهله أجمعين، إذ يقول -رعاه الله-:

«بعد عام ونصف وبعد أن استقررت في المسيجيد، طلبت الوالدة وأخي عبدالله للحضور من عنيزة إلى المدينة بالسيارة، وكان عمر أخي ثماني سنوات، وعندما بلغني خبر وصولهما إلى المدينة من الأخ علي الفريح الذي استضافهما -جزاه الله خيراً- استعرت جملاً من الصديق محمد الأحمدي وسريت عليه وحيداً آخر الليل لإحضارهما إلى المسيجيد، وفي الطريق نزلت أمشي إلى جانب الجمل وكأنه استراب من خيالي فحاول الهرب، وبفضل الله تداركت الأمر وأمسكت خطامه، وقد أنقذني الله من هلاك محقق، وهذا من لطف الله وعنايته؛ فلو هرب الجمل لأكلتني الذئاب!!

المهنة	التاريخ	الأجر
سقَّاء وبائع في دكان عمه	١٣٤٤هـ	٨ جنيهات (٨٠ ريالاً مجيدياً) لمدة عشرة أشهر
عامل بناء	١٣٤٥هـ	١٢ ريالاً مجيدياً شهرياً
مشرف عمال	١٣٤٩ هـ	٣٠ ريالاً مجيدياً شهرياً
مفتش طريق	١٣٤٩ هـ	٣٠ ريالاً مجيدياً شهرياً + الأكل والشرب والسكن

جدول يوضِّح بعض الأعمال المهنية التي مارسها السبيعي في أول حياته.